وقفات للأمّة من تحويل القِبلة في ليلة النصف من شعبان الفضلى

2023-03-03

الحمد لله الذي جعل شهر شعبان موسما لطاعته، وفرصة عظيمة لمن يتقرّب إليه بكثرة عبادته، والتعرّض لإحسانه ورحمته، وخصّ ليلة نصفه بخصائص التكريم والهِبات. وجعلها من أعظم مواسم الطاعات. ومن أجلّ مواطن التجلّي والأنس والمشاهدات. وَأَشْهَدُ أَنْ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، استجاب لرغبة حبيبه المصطفى. صلى الله عليه وآله وسلم. بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرّفة. كانت هذه أمنية يتمنّاها. فامتنّ الله عليه بقوله:((قَدْ نَرى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّماءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضاها)). وأنزل عليه في خير الكلام. ((وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ)). وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، وَصَفِيُّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَخَلِيلُهُ، أَسَّسَ مُجْتَمَعًا عَلَى الإِيمَانِ وَالتَّآلُفِ، وَالأَمَانَةِ وَالتَّكَاتُفِ، فجَمَعَ اللهُ بِهِ الشَّتَاتَ، وَرَبَّى عَلَى يَدَيْهِ خَيْرَ الأَفْرَادِ وَالجَمَاعَاتِ، وَأَشَادَ بِمَنْهَجِهِ أَرْوَعَ الحَضَارَاتِ،

هذا محمّدٌ صلّوا كلُّكمْ عَلَنًا * عليه فَهْو ليوم الحشر عمدتُنَا
ومِنْ مهاوي الرَّدَى والزَّيْغ أنقذَنا * يا مرتَجين نوالاً من عطيّتِهِ
صلّوا عليه وزيدوا في محبّتِهِ

اللهم صلّ وسلّم وبارك على سيّدنا محمّد. إمام الزُّهَّاد والعُبّاد. وعلى آله النجباء الأفراد. وصحابته ذوي الجِدّ والإجتهاد. صلاة تُصلح بها منّا القلوب والأجساد. وتحفظ لنا بها المال والأهل والأولاد. وتبلّغنا بها من رضاك ورضاه غاية القصد والمراد. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. **أمّا بعد:** فيا أيّها المسلمون. فإنّ الله جعل مرور الأوقات تذكرة لعباده المؤمنين، وللمؤمن في كل وقت من الأوقات عبودية لله، ومن سعادة العبد أن يعرف شرف الزمن وقيمة الوقت، وأن يعرف

وظائف الأوقات حتى يعمرها بطاعة الله، والمسلم دائمًا يهتمّ بواجب الوقت الذي هو فيه، ويغتنم الفرص في كل زمان. ليحقّق عبوديته لله التي خُلق من أجلها. قال تعالى في سورة الذاريات:((وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ)). وإنّ من الفُرَص الثمينة التـي لا يجوز للمؤمن تفويتـها، ومن مواسم الفضل التــي لا يليق بالـمسلم تضييعها، هذا الشهر الـمبارك الكريم الذي نعيش في رحابه، ونستظل في هذه الأيام بظلاله، ألا وهو شهر شعبان المبارك، فما أحرانا بأن نستجيب لداعي الله، وأن نتعرّض لنفحات الله، ونتحرّى مرضاة الله، أيّها المسلمون. وإنّ لشهر شعبان عند الله تعالى فضيلة، وقد كانت الجاهلية تغالي في تعظيم رجب وتهمل شهر شعبان، فجعل الله له مِن الخصائص ما زاده مكانة في نفوس المسلمين، جعله الله شهر ختام لأعمال السنة. إذ تُرفع فيه تقارير الأعمال السنوية إلى رب العالـمين لتُعرَض عليه. وهو أعلم بها سبحانه. لا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات والأرض. كما جاء في الحديث الذي رَوَاه أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ سيّدنا أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُما. قَالَ:((قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ فقَالَ صلى الله عليه وسلم: ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النّاسُ عَنْهُ بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ))، أيّها المسلمون. وقد خَصّ الله شهر شعبان بليلة النصف المباركة. يتجلّى فيـها ربنا الكريم بفيوضات رحمته الواسعة، ونفحات مغفرته الشاملة، وعطايا عفوه الكامل على جميع عباده الـمؤمنيـن، إلاّ مَن استثناهم الحديث الشريف. فقد أخرج البيهقي والدارقطني من حديث بكر بن سهل عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيّدة عائشة رضي الله عنها عن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال:((لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبانَ، يَنْزِلُ اللَّهُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَغْفِرُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ إِلَّا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ)). وفيما رواه البيهقي:((لا ينظر الله فيها إلى مشرِك ولا مشاحِن ولا إلى قاطِع رحم ولا إلى مُسْبِل ولا إلى عاقٍّ لوالديه ولا إلى مُدْمِن خمر)). وروى ابن

حِبّان والطبراني عَنْ مُعَاذِ بنِ جَبَلٍ رضي الله عنه عَن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:((يَطَّلِعُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى خَلْقِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ إلا لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ)). والشَّحناءُ دَاءٌ عُضَالٌ مَا دَخَلَ قلباً إلا أَفْسَدَهُ، ولاَ تَسَلَّلَ إلىَ نَفْسٍ إلاَّ أَنْبَتَ فِيهَا البُغْضَ والكراهيةَ، ولاَ تَمَكَّنَ مِنْ أحدٍ إلا حَمَلَهُ علَى هَجْرِ أهلِهِ وإخوانِهِ. وأقاربِهِ وجيرانِهِ، كما أنّها تَمْنَعُ الْمَغْفِرةَ عندَ عرضِ الأعمالِ علَى اللهِ عزَّ وجلَّ، ففي صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قَالَ:((تُعْرَضُ الأَعْمَالُ فِى كُلِّ يَوْمِ خَمِيسٍ وَاثْنَيْنِ، فَيَغْفِرُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِى ذَلِكَ الْيَوْمِ لِكُلِّ امْرِئٍ لاَ يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئاً إِلاَّ امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: اتركُوا أَيْ أَخِّرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، اتركُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا)). أيّها المسلمون. وممّا يُذكر في هذه المناسبة. أيْ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ. تحويل القبلة عن بيت المقدس إلى الكعبة المشرَّفة. قال تعالى في سورة البقرة:((قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاء فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوْتُواْ الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ)). فواجب علينا أن نعقل درْس القِبلة. لقد جمع الله شتات المؤمنين من كل اتّجاه، في أنحاء الأرض جميعًا، قبلة واحدة تجمع هذه الأمّة. وتوحّد بينها على اختلاف مواطنها، واختلاف مواقعها من هذه القبلة، واختلاف أجناسها وألسنتها وألوانها، قبلة واحدة، تتّجه إليها الأمّة الواحدة في مشارق الأرض ومغاربها، فتشعر أنها جسم واحد، وكيان واحد، تتّجه إلى هدف واحد، وتسعى لتحقيق منهج واحد، منهج ينبثق من كونها جميعًا تعبد إلهًا واحدًا، وتؤمن برسول واحد، وتتّجه إلى قبلة واحدة، فالمسلمون يتعلّمون من وحدة القبلة، وحدة الأمّة في الهدف والغاية، وأنّ الوحدة والإتّحاد ضرورة في كل شؤون حياتهم الدينية والدنيوية، قال تعالى في سورة الأنبياء:((إنّ هَذِهِ أُمتُكُمْ أُمّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبكُمْ فَاعْبُدُونِ)). أيّها المسلمون. إنّ هذه الذكرى تجعلنا دائمًا وأبدًا نتذّكر

المؤامرة على هذه الأراضي المقدّسة. وعلى المسجد الأقصى الأسير، هذا المسجد الذي كان احتلاله على أيدي الصليبيّين أعداء الله. انطلقوا من جميع دول أوروبا في أشرس حملة ضد الإسلام والمسلمين، فاستولَوْا عليه سنة 1099م، وقَتلوا في جوار البيت المقدّس أكثر من سبعين ألفًا من المسلمين، ثم قيّض الله المجاهد صلاح الدين الأيّوبي الذي حرّره من أيديهم في 27 رجب سنة 583هـ، يوم الجمعة أكتوبر 1187م بعد 88 عامًا من الإحتلال، فكان يومًا مشهودًا. أيّها المسلمون. قبلتُنا تذكّرنا بحقيقة الصراع. وأنّ اليهود قوم بُهت. إذ بقدرِ ما فِرحَ المسلمون بتحويل القبلة. حزن اليهود الذين أكَلَ الحِقْدُ والحسدُ قلوبَهم. فحسدوا المسلمين على هذه القبلة. كما أخبرنا المعصومُ صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام أحمد في مسنده. عَنْ أمّ المؤمنين السيّدة عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قال رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:((إِنَّهُمْ لَا يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى يَوْمِ الْجُمُعَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا. وَعَلَى الْقِبْلَةِ الَّتِي هَدَانَا اللَّهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا. وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الْإِمَامِ آمِينَ)). قال تعالى في مَعرض حديث الآيات عن القبلة ((وَلَئِنْ أَتَيْتَ الذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُل آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ))، ومن هنا ندرك أصالة عدوان هؤلاء للإسلام والمسلمين، فقد شنّوْا حربًا إعلامية ضارية في أمْر القبلة. قبل وبعد التحويل، ففي سيرة ابن هشام عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال:((ولمّا استقبل النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة أتى رفاعة بن قيس، وكعب بن الأشرف، وابن أبي الحُقَيق، وهم زعماء اليهود، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: ما ولاّك عن قبلتك التي كنت عليها. وأنت تزعم أنك على ملّة إبراهيم، عليه السلام، ودينه، إرجع إلى قبلتك التي كنت عليها نتّبعك ونصدّقك، وإنّما يريدون فتنته عن دينه، فأنزل الله تعالى:(سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)، ثم قال المسلمون: يا رسول الله، كيف بمَن مات مِن إخواننا قبل استقبال الكعبة. فأنزل الله تعالى: وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ

اللهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ)). أيْ وما كان الله ليضيع صلاتَكم إلى بيت المقدس بل ستثابون عليها وتؤجرون. أيّها المسلمون. قبلتُنا تذكّرنا بضرورة تميّز المسلمين عن غيرهم. ومن هنا جاء النهي في أحاديث نبوية كثيرة عن التشبّه بغير المسلمين في خصائصهم التي هي تعبير ظاهر عن مشاعر باطنة، ولقد أدرك اليهود مدى حِرْص الرسول صلى الله عليه وسلم على هُوية الأمّة وتميّزها، والإمعان في مخالفتهم حتى قال قائلهم كما في صحيح مسلم:((مَا يُرِيدُ هَذَا الرجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلا خَالَفَنَا فِيهِ))؛ أيّها المسلمون. فيجب علينا أن نعتبر ونستفيد من هذه المناسبة وهي تحويل القِبلة. إلى تحويل حالنا مع الله؛ إلى تحويل حالنا من ارتكاب المعاصي والخنا. والمسكّرات المخدّرات. والجرائم والفجور. إلى العبادة والطاعة والعمل ليوم النشور. إلى تحويل حالنا من الكسل والخمول والتسكّع. إلى السعي والكسب والإجتهاد وابتغاء الرزق. إلى تحويل حالنا من الظلم والقهر والإستبداد، إلى العدل والحرية والمساواة. إلى تحويل حالنا من التشرذم والتحزّب والتشتّت والإختلاف إلى الوحدة والإتّحاد والإعتصام والإئتلاف. إلى تحويل حالنا من الحقد والغل والحسد والبغضاء لبعضنا البعض، إلى الحب والنقاء والإيثار والإخاء والتراحم فيما بيننا، ولا سيما ونحن مقبلون على شهر كريم؛ وهو شهر رمضان. وقد سئل الصحابي الجليل سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (كيف كنتم تستقبلون رمضان؟ قال: ما كان أحدنا يجرؤ على استقبال الهلال وفي قلبه ذرة حقد على أخيه المسلم). وبالجملة يجب علينا تغيير وتحويل شامل. جمعه الله في قوله في سورة الرعد:((إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ))، وفي قوله سبحانه في سورة الأعراف:((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)). ألا فلنتحوّل كما تحوّل الصحابة رضي الله عنهم في حادث تحويل القبلة، نتحوّل بكل قوة وثقة إلى منهج الإسلام بكليّاته وجزئيّاته، كما تحوّل أولئك الغر الميامين وهم ركوع. أيّها

المسلمون. فهيّا بنا في هذا الشهر الذي شاع فيه الخير وبان. إلى أن نجتمع ونتوحَّد. ونغتنم أوقات شهر شعبان بكل أنواع الطاعات، إستعدادا لرمضان شهر البركات والرحمات، اللهم كما جمعتنا على قِبلة واحدة وحِّدنا على طاعتك. واهدنا لذكرك وشكرك وحُسن عبادتك. واجعلنا من عبادك المستمعين الممتثلين. اللهمّ ألِّف بين قلوبنا. ووحِّد في مرضاتك بين صفوفنا. واجمعنا اللهمّ على كلمة سواء. هي كلمة السّلام والوئام والوفاق. وجنِّبنا سبيل العِوج والخلاف والشقاق. اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي شَعْبَانَ. وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ، اللهمّ عمّر قلوبنا بالتقوى والإيمان. اللهمّ اكتبنا من عبادك الطائعين. واجعلنا اللهمّ هادين مهتدين. وألهمنا العمل بشرائع هذا الدين. بجاه نبيّك الأمين. سيّدنا ومولانا محمّد سيّد المرسلين. صلى الله عليه وآله وسلم في كلّ وقت وحين. بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين. يا رب العالمين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. اهـ